انشطار الذات وثنائيات التحول في شعر كثير عزة

الباحثة/ إسراء خلف محمد كمال

إشراف

الدكتور/ أحمد محمد أحمد الليثي

الملخص باللغة العربية:

يقف هذا البحث على شعر كثير عزة مستنبطًا صور الذات الشاعرة وتحولاتها بين الانكسار والصمود والحضور والغياب، فقد شهدت الذات انكسارات عدة أسهمت في انشطارها وتحولها، وفي المقابل بدت عليها ملامح الصمود على الرغم من جفاء وتصدي الآخر/ الحبيبة غير أنها صامدة ومعتزة بنفسها وبأخلاقها الحميدة؛ كما أن الشاعر لجأ إلى التشبيه التمثيلي بوصفه أداةً فنية تساعد المتلقي في معرفة صورة الذات؛ وقد كشف الانشطار عن اضطراب الذات الشاعرة وارتباكها وحالتها النفسية السيئة ومعاناتها وانكسارها، فهو متأرجح العواطف؛ تارة صامد متمسك بالعهود وتارة أُخرى ينقضها، وإن شعرية الذَّات والتَّشظي؛ شعريّة تَقوم على أسئلة تتمحور حول الذات الشّاعرة، وتَمسّ ما تطرحُه من تساؤلات قَلِقَة تكشف عُمق التَّحول الذي تَعيشه، وغُربتها في الزّمان والمكان والكلمة والتجربة ككل، وهو ما يجعل شِعْرَ الذَّات يعيش تفاوتًا في الإبداع وتباينًا على مستوى الرؤيا، وتشَظيًّا وانشطارًا على مستوى الشُّعور.

إن ثنائية الحضور والغياب في شعر كُثير عزة أسهمت في انشطار الذات وانقسامها على نفسها بفعل فراق المحبوبة وعدم اللقاء، وفي الوقت نفسه مثّل حضور المحبوبة جانبًا إيجابيًّا مهمًا في نفسية الشاعر، فالذات تكون مطمئنة هادئة سليمة، ويصبح حضورها دواءً لكُلِّ داءٍ، وإن كثير عزة عبّر للمتلقي شدة ولعه وعشقه واشتياقه لعزة، فهي دائمًا حاضرة في قلبه وروحه، وقد استدعى الشاعر عناصر الطبيعة لتشاركه همومه وأحزانه وتقلباته النفسية بوصفها معادلًا موضوعيًّا ورمزًا دالًا على معاناة الذات وانكسارها تجاه العوامل المؤثرة في بُعد الذات المحبوبة عنه، فبفعل الفراق تحولت الذات من ذات محبة للحياة إلى ذات تعيسة حزينة.

إن الاغتراب الذي أصاب الشاعر نتيجة رحيل محبوبته عنه، يُعد المولد الرئيس للصراع النفسي الذي انتاب الشاعر، والذي صاحبه انشطار الذات وتشظيها، فهو لا يستطيع الصبر على فراقها ويأمل وصلها ولقائها.

الكلمات المفتاحية: (انشطار؛ الذات؛ الانكسار؛ الصمود؛ التحول).

Abstract:

The division of the self and the dualities of transformation in Kathir Azza's poetry

This research examines Katheer Azza's poetry, drawing out images of the poet's self and its transformations between brokenness and steadfastness, presence and absence. The self witnessed several breaks that contributed to its division and transformation, and on the other hand, it showed features of steadfastness despite the coldness and resistance of the other/beloved, but it is steadfast and proud of itself and its good morals. The poet also resorted to representational simile as an artistic tool that helps the recipient know the image of the self. The split revealed the poet's self-disorder, confusion, bad psychological state, suffering, and brokenness. He is oscillating in emotions. Sometimes he is steadfast and adheres to covenants, and at other times he breaks them, and the poetics of self and fragmentation; Poetry based on questions centered around the poet's self. It touches on the anxious questions it raises that reveal the depth of the transformation that she is experiencing, and her alienation in time, place, word, and experience as a whole, which is what makes the poetry of the self experience disparity in creativity and disparity at the level of vision, and fragmentation and division at the level of feeling.

The duality of presence and absence in Kathir Azza's poetry contributed to the splitting of the self and its division against itself due to separation from the beloved and failure to meet. At the same time, the presence of the beloved represented an important positive aspect in the poet's psyche. The self is reassured, calm, and sound, and her presence becomes a cure for every disease. Although Kathir Azza expressed The recipient has intense fondness, love, and longing for Azza, for it is always present in his heart and soul. The poet summoned the elements of nature to share with him his worries, sorrows, and psychological fluctuations, as an objective equivalent and a symbol indicating the self's suffering and brokenness toward the factors influencing the distance of the beloved self from him. Through separation, the self transformed from a life-loving self. To an unhappy, sad self.

The alienation that befell the poet as a result of the departure of his beloved from him is the main generator of the psychological conflict that befell the poet, which was accompanied by the splitting and fragmentation of the self. He could not be patient with her separation and hoped to reach her and meet her.

Keywords: (fission; self; refraction; steadfastness; transformation).

مقدمة:

إن الذات تتشظى عندما تتعرض لموقفين متقابلين لا تستطيع إشباع أي منهما، فيتولد من ذلك صراع نفسي عميق وتوتر داخلي وجدل دائر بين الذات ونفسها من جهة، وبين الذات وواقعها الخارجي من جهة أخرى، فتنشأ على إثر ذلك عملية التأثير والتأثر– إيجابًا وسلبًا، علاوة على ذلك، تصبح الذات حبيسة ذلك الجدل وتلك الخصومات، وفي هذه اللحظة تنقسم الذات إلى ذوات متعددة، مختلفة الرؤى، فتتحول من اتجاه إلى اتجاه آخر معاكس على المستويات كافة، بفضل المؤثرات الفاعلة في طبيعة الذات، التي تدفعها إلى القلق والارتباك والتردد والتيه والتشتت.

وعلى ذلك جاء **موضوع الدراسة معنون بـــ (**انشطار الذات وثنائيات التحول في شعر كثير عزة**)، وقد اختارت الباحثة ذلك الموضوع لعدة أسباب أهمها:**

١–ندرة الدراسات التي أقيمت حول موضوع انشطار الذات وثنائيات التحول، خاصة في الشعر العربي القديم.

٢–أهمية موضوع انشطار الذات وثنائيات التحول من خلال التعمق في استنطاق ما وراء النصوص والذات المبدعة عبر هذه الثنائية الذاتية المنشطرة.

٣–حياة كثير عزة التي امتلأت بثنائيات متنوعة ومتعددة جعلت من الذات الموجعة صورة جلية للانشطار بتنوع أنماطه.

٤–الوقوف على تعدد القراءة من خلال تعدد الصورة عند الشاعر، عبر انشطار ذاته وتحولاتها لذوات متنوعة ومختلفة.

أهمية البحث وأهدافه:

تتجلى أهمية البحث وأهدافه في النقاط الآتية:

١– التعرف على جوانب مهمة في حياة الشاعر الأموي، التي بدت واضحة من خلال أشعاره، والتي ارتسمت فيها صورة جلية ومرآة عاكسة لذلك القلق والخوف والحيرة التي كانت تعتمل في حياة الناس في العصر الأموي، خاصة الشعراء منهم، وهم اللسان المعبر الناطق عن مفردات الحياة اليومية، السياسية والاجتماعية والفكرية.

٢– رصد مواضع انشطار الذات الشاعرة وتحولاتها من خلال الوقوف على العوامل المؤثرة في عملية الانشطار.

خطة البحث:

جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومبحثين، تتبعها خاتمة فيها أهم نتائج البحث، وثبت بالمصادر والمراجع.

التمهيد/ يتضمن مفردات العنوان.

المبحث الأول/ ثنائية الحضور والغياب.

المبحث الثاني/ ثنائية الانكسار والصمود.

التمهيد:

يقول (جان كوهين) إن " **الثنائيات الضدية، تنشأ من شعورين مختلفين يوقظان الإحساس، و واحد من هذين الشعورين فقط هو الذي يستثمر نظام الإدراك في الوعي، والثاني يظل في اللاوعي**" [١]، وإذا طبقت الباحثة رؤية جان كوهين على الذات الشاعرة تلحظ أن تلك الذات تعرضت لأزمات نفسية ومسببات واقعية، تجلى عبرها ملامح الانكسار والانتصار والحضور والغياب والقبول والرفض .. الخ.

إن المتلقي يتعرّف على تلك الثنائيات الضدية في بنية القصيدة من خلال الأنساق الشعرية المضمرة " **لأنها تتأسس على مبدأ الضِّدية على مستوى الموضوع واللّغة والصورة، وهذا ما يؤدي إلى زيادة التوتر في المسافة بين ما يظهره النَّص وما يضمره، وقد تكون العلاقة بين الثنائيات علاقة نفيٍ سلبيٍ وتضادٍ مطلق، وقد تكون علاقةَ توسطٍ أو تناغمٍ وتكاملٍ وإخصاب، تكشف دراستها عن التركيب الضِّدي للعالم والجدلية التي تتخلله**" [٢]، فالنسق الشعري عالم متشابك من العلامات السطحية والعميقة على حد سواء، يكشف عن الجوانب النفسية للذات الشاعرة وما يعتريها من انفصام وانشطار وتشظي بفعل عوامل مؤثرة سواء أكانت داخلية أم خارجية، والأنساق الشعرية المضمرة تتضمن تلك العلاقات التي تربط الذات بنفسها وبالعالم المحيط بها.

الانشطار لُغة:

ورد (الانشطار) في المعاجم اللغوية بدلالات عدة، فصاحب لسان العرب أورد الشطر بأنه: "**نصف الشّيء والجمع أشطر وشطور، شطر بصره يشطِر شُطورًا، وشطر شطَرًا: صار كأنّه ينظر إليك إلى آخر، وقال أبو اسحق: قول الناس فلان شاطر معناه أنه أخذ في نحو غير الاستواء ولذلك قيل له شاطر؛ لأنه تباعد عن الاستواء، وشطر عن أهله شُطُورًا وشُطُورة وشطارة إذا نزح عنهم وتركهم مراغمًا أو مخالفًا، والشِطر أيضًا: الغريب**". [٣] وفي القاموس المحيط " **الشطر: نصف الشيء وجزؤه، ومنه حديث الإسراء: فوضع شطرها، أي بعضها، جمع أشطر وشطور**" [٤] وفي جمهرة اللُّغة: "**الشطر: النّصف من كُلِّ شيء، وشاة شطور إذا يبس أحد ضرعيها، وقولهم: حَلَب فلان الدَّهرَ أشطرَه إذا جرّب الأمور، وأصله من الحلب: أي هو يحلب شطرًا ثم يحلب الشطر الآخر، ونظرت**

(١) اللغة العليا، النظرية الشعرية، جان كوهين، ترجمة/ د. أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٥م، ص١٨٧.

(٢) الثنائيات الضدية، سمر الديوب، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩م، ص٧.

(٣) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ، دار صادر، بيروت، (د.ت) مادة شطر مجلد٤، ص٤٠٩.

(٤) القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق أنس الشامي وآخر، دار الحديث القاهرة، ط٢٠٠٨، مادة شطر.

شطر بني فلان أي ناحيتهم التي يُقصد إليهم منها" [١] ومن خلال التعريفات السابقة يمكن القول: إنَّ الشطرَ المقصود به نصف الشيء أو جزء منه، وقد جاء بمعنى الناحية والجهة والقصد، وورد أيضًا بمعنى الصدر أو العجز في البيت العروضي، فهو شطر بيت الشعر، وذكر بمعنى البعيد؛ لتباعده عن قومه، حيث يقال للغريب شطيرًا.

الانشطار اصطلاحًا:

لم يتحدد تعريفٌ فاصلٌ للانشطار في إطاره الاصطلاحي؛ وذلك نظرًا لحداثة المصطلح أو التناول على استحياء في كتابات عدد من دارسي الأدب ونقد الشعر، مثل: د. صلاح فضل و د. جابر عصفور، وقد أفصحت عنه بعض العلوم الإنسانية فنجده من المنظور النفسي "**حالة تعدد الذات مرتبطة بالصراع من جهة، وبدراسة الذات الأدبية من جهة أخرى، أما في حالة تعدد الذات فهي حالة مألوفة في الأدب، وتظهر ذاتين أو أكثر تتناوب السيطرة على أنماطه السلوكية في المواقف المختلفة**" [٢]، وتفكك الذات وتمزقها يعني " **انفصال بعض أجزائها واضطراب أدائها الوظيفي وقيام بعض جوانبها بالأداء الوظيفي مستقبلًا**" [٣]، وقد ذُكر أن التمزق والانشطار ربما تسبب فيه البعد النفسي أو الغربة الذاتية؛ لأنه " **عند ابتعاد الذَّات عن بعضها تتمزق أو تتشظّى؛ لأنَّ الشّطر لا يحمل فقط معنى الانتصاف**". [٤]

ومن خلال تعريف مصطلح الانشطار لُغة واصطلاحًا يمكن القول: إنّ دلالة الانشطار تكمن في معان ربما تكون واحدة، وقد يظهر الانشطار بفعل عوامل داخلية وخارجية، منها: الغربة وما يتصارع داخل الإنسان من تعلق بالوطن وأهله، واضطراره لتركه سواء لرغبة في كسب رزق وتحسين حياته، أو هروب من مآزق ومصاعب، أو يظهر بفعل تشتت النَّظر بأن تنظر بعين إلى شيء بينما الأُخرى تحذر من شيء آخر، أو أن يصل بك الصراع لأن تجرد من نفسك شخصًا آخرًا تحاوره وتفضي إليه بمكنونات روحك، فيحدث بذلك انفصام في الشخصية.

كثير عزة وحياته بين الانشطار والإبداع:

يُعدُّ **كُثير عزة** من الشعراء الذين حظوا باهتمام ملحوظ من قبل النقاد القدامى والمحدثين على حد سواء؛ بناءً على تجربته الشعرية التي لاقت حفاوة كبيرة، فقد كان له

(١) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت٣٢١هـ، المحقق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م، مادة رشط باب الراء والشين ج٢ص٧٢٦.

(٢) أسس علم النفس العام، د. طلعت منصور وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤، ص٣٧٧.

(٣) الصحة النفسية والعلاج النفسي، حامد عبد السلام زهران، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧، ص٥٢٢.

(٤) انشطار الذات في ديوان (تأبط منفي)، للشاعر عدنان الصائغ، دراسة عاطف السيد بهجات، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر مج٢٣، ع١ يوليو ٢٠١٠، ص٣،٤.

حظ وافر في فنون الشعر عامة وفي النسيب خاصة، فقد استطاع الشاعر الخروج من المألوف إلى الابتكار على مستوى الألفاظ والمعاني والأفكار والصور والأخيلة؛ لذلك نالت تجربته الشعرية أهمية كبيرة في الدرس الأدبي والنقدي، ومعاناة الشاعر العاطفية، وحبه المفرط لعزة، وصدها مرات عديدة وبخلها في تبادل المشاعر نفسها، بجانب وجود الحاسدين والواشيين والعذال، أثر ذلك كلّه في نفسه؛ إذ تنشطر الذات الشاعرة وتتشظى إلى شطرين (ذاته الأصلية، وظلها المنشطر عنها)، فيحاورها وينفث عن مكنوناته التي يشعر بها تجاه واقعه، وتجاه الآخر/ الحبيبة، فتظهر ملامح الانكسار والصمود، والحضور والغياب، والقبول والرفض، فهي ذات حائرة مشتتة قلقة مضطربة، تسعى دائمًا للقاء المحبوبة؛ لتشبع رغباتها واحتياجاتها العاطفية.

المبحث الأول/ ثنائية الانكسار والصمود:

عن الانكسار يقول (تشارلز داروين): " **ننحدر بعد معاناة من نوبة حزن حادة ومفاجئة مع بقاء العامل المسبب مستمرًا إلى حالة من انحطاط الهمة، أو نكتئب بشكل كامل ولآلام الجسدية المزمنة إذا لم تُفْضِ إلى راحة مكافئة لها، فإنها تقود عمومًا إلى الحالة العقلية ذاتها، وإذا توقعنا المعاناة نصبح قلقين، وإذا انتفى الأمل والانفراج نصاب باليأس والإحباط**" [(١)]، فهذه الحالة الشعورية التي وقف عليه تشارلز داروين تحيل إلى العوامل المسببة للانكسار.

الانكسار بفعل الخوف:

الخوف هو " **عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال أو انفعال من النوع التهيجي الشديد في وجود حقيقي أو متوقع لخطر أو ألم** [(٢)]؛ فهو بذلك شعور إنساني متولد بفعل الآخر الخارجي سواء أكان فردًا أم مجتمعًا، ينتاب الذات الإنسانية ويصبح على إثر ذلك دافعًا قويًّا لانكسار الذات وانشطارها؛ ويكشف عن طبيعة الجدل بين الذات والذوات الأخرى ويسهم في ظهور التحولات النفسية والفكرية والاجتماعية.

في المقابل يأتي الحب ويصبح ديمومة التحول النفسي لدى الشاعر؛ لأنه "**يبدو في عين الشاعر مصدرًا للإحساس بتجدد الحياة ومصدرًا في الوقت ذاته للوعي الحادّ بالزَّمن والموت والعجز والخوف؛ لعدم إمكانية استمرار تجربة الحبِّ بمثاليَّتها واكتمال قوتها، لعدم خلود المشاعر و ديموميتها، وذلك إمّا لتغير هذه المشاعر أو لرحيل أصحابها**". [(٣)]

على هذا يظهر الانكسار في الأحوال معظمها عند الشعراء بسبب دوافع نفسية عميقة تصيب الذات الشاعرة سواء كانت بدافع الخوف أو الحب أو الرحيل والفراق، فالمشاعر النفسية تتغير على حسب طبيعة العلاقة بين الذات والذات الأخرى والعوامل المؤثرة في هذه العلاقة.

عند كثير عزة تظهر ملامح انشطار الذات وانكسارها من جراء ضياع الشباب، فيقول وهو يقارن بين حالتين: [(٤)]

وكنت امرءا بالغور مني ضمانةٌ وأخرى بنجد ما تعيد وما تُبدي

(١) التعبير عن العواطف، تشارلز داروين، ترجمة محمد عبد الستار الشيخلي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠م، ص١٩٧.
(٢) مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الجزء الأول، ١٩٨٤، ص٤٦.
(٣) الأصولية والحداثة في شعر حسن الزهراني، د. كاميليا عبد الفتاح، نادي الباحة الأدبي، ١٤٢٩هـ، ص٥١.
(٤) الديوان ص٨٦.

وكـــان الـــصبا خـــدن الـــشباب فأصـــبحا وقـــد تركـــاني فـــي مغانيهمـــا وحـــدي

يأتي انكسار الذات وانشطارها في البيتين الـسابقين بفعـل الوحـدة، والاستـسلام، والحزن على ضياع الشباب، والذي أدى إلى تحول الذات الـشاعرة مـن الإيجـاب إلـى السلب.

الانكسار بفعل الفراق:

يقول الشاعر موضحًا ملامح الفراق، واليأس من لقاء الآخر/ الحبيبة، وتأثيره علـى ذاته الراجية للقاء والوصل، **فيقول:** (١)

وكيـــف ترجِّيهـــا ومـــن دون أرضـــها جبـــال الربـــا تلـــك الطـــوال البواســـق

وأنـــت المنـــى يـــا أم عمـــرو لـــو انّنـــا ننالـــك أو تـــدني نـــواك الـــصفائق

لأصبحت خلـوا مـن همـوم ومـا سـرت علـــيّ خيـــالات الحبيـــب الطـــوارق

نلاحظ في الأبيات السابقة انشطار الذات الشاعرة وانكسارها، فكثير يحـدّث نفـسه حديث اليائس من الطلب والوصل، كيف يطلبها وقد بعدت أرضها، وحـال بينـه وبينهـا عوائق وعقبات؟، فالذات تتوق للقاء وتتمنى الوصل؛ لكن الفراق جعل الهموم تتكالب عليـه وطيفها يلازمه ويقض عليه مضجعه، فالفراق واليأس من اللقاء عوامل لها تأثيرها القـوي والفعال على الذات الشاعرة؛ إذ إنها جعلت الذات ترضخ وتنحدر للهموم وتطلب الوصـال وتتمنى اللقاء.

يقول موضحًا صدق حبه وكذب الواشين، فهو منكسر ذليل يرجى الوصل:(٢)

صـــحا قلبُـــه يـــا عـــزُّ أو كـــاد يـــذهل وأضـــحى يريـــد الـــصرمَ أو يتبـــدّل

وخبَّرهـــا الواشـــون أنـــي صـــرمتها وحمَّلهـــا غيظـــا علـــيَّ المحمِّـــل

وإنّـــي لمنقـــادٌ لهـــا اليـــوم بالرضـــى ومعتـــذر مـــن ســـخطها متنـــصِّلُ

إذا قلـــت أســـلو غـــارت العـــين بالبكـــا غِـــراءً ومـــدَّتها مـــدامعُ حفَّـــلُ

(١) الديوان ص١٢٨.

(٢) الديوان ص١٥٩.

تظهر الأبيات انكسار الذات الشاعرة، فالشاعر مشتت الرؤى، ذاهل العقل، مشتت الفكر من كثرة انشغاله بها، خاضع أمامها، يبيَّن لها انشطار قلبه بين دفاعه عن صدق حبّه، وبيان كذب الواشين الذين يريدون التفريق بينهما.

يستمر الشاعر في إظهار حزنه ومعاناته من جراء فراق عزة، فيقول: (١)

ألم يحزُنك يوم غدت حُدُوجُ لعزّة إذ أجدّ بها الخروج

رأيت حدوجها فظللت صبّا تهيّجُني مع الحزن الحُدوج

إذا بصُرت بها العينان لجّت بدمعهما مع النظر اللجوج

يناجي الشاعر نفسه وهو يعترف بحزنه لرحيل عزّة مع قومها، ويصف لحظة خروجها، وما فعلته في قلبه، كيف له أن يطيق فراقها، فهو في هذه اللحظة لا يملك غير دموعه؛ ليعبِّر عما بداخله.

الانكسار بفعل اليأس:

يقول الشاعر مبرزًا انكساره بفعل اليأس من لقاء محبوبته: (٢)

خليلي عوجا منكما ساعة معي على الربع نقضي حاجة ونودِّعِ

ولا تعجلاني أن أُلِمَّ بدمنة لعزَّة لاحت لي ببيداء بلقع

وقولا لقلب قد سلا: راجعِ الهوى وللعين أذري من دموعك أو دعي

فلا عيش إلا مثلُ عيش مضى لنا مصيفا أقمنا فيه من بعد مربعِ

الشاعر هنا يحدث صاحبيه ويطلب منهما أن يمرّا معه بمكان كانت تقيم فيه محبوبته؛ ليروي ظمأ فؤاده المتعطش لرؤية بعض آثارها، ويطلب منهما أن يذكرا قلبه بعزّةَ، تلك التي تعلق بها، ثم حالت الظروف دونها، ودبّ اليأس فسلاها، ولعينيه أن يدللا على هذا الفقد بانسكاب دموعه وإلّا فليكففا، وكيف يكون ذلك السلوان والكفّ وهو يوقف حياته على أيام قضاها معها؟!.

(١) الديوان ص٦٤.

(٢) الديوان ص١١٩.

يقول أيضًا في مقطوعة شعرية مؤلمة تكشف عن آلامه ومعاناته جراء اليأس من لقاء المحبوبة (١)

إلـــى الله أشـــكو لا إلـــى النـــاس حبَهـــا ولابـــدّ مـــن شـــكوى حبيـــب مـــودّعِ

إذا قلـــت هـــذا حـــين أســـلو ذكرتهـــا فظلـــت لهـــا نفـــسي تتـــوق وتنـــزع

ألا تتقـــين الله فـــي حـــب عاشـــق لـــه كبـــد حـــرّى عليـــك تـــصدَّع

غريـــب مـــشوق مولـــع بـــا دِّكـــاركم وكـــل غريـــب الـــدار بالـــشوق مولـــع

إن الحالة الشعورية التي تسيطر على الشاعر هي حالة هياج داخلـي لا يجـد لهـا طريقًا للسلوى، فهو يتضرع إلى الله، وهو محب خاضع ذليل، يحاول نـسيانها فيتـذكرها، ويخاطب خيالها ناصحًا أن تتقي الله فيه لتصله وتخفف ما حلّ به، انشطار جعلـه يـشعر بالغربة في حياته لفقدها، وهو مولع بذكرها.

الانكسار بفعل الفقد:

جاء الفقد بوصفه عاملًا مؤثرًا في انشطار الذات، **فيقول الشاعر:** (٢)

فمـــا فـــي حيـــاة بعـــد موتـــك رغبـــة ولا فـــي وصـــال بعـــد هجـــرك مطمـــع

ومـــا للهـــوى والحـــب بعـــدك لـــذَّة ومـــات الهـــوى والحـــب بعـــدك أجمـــع

إذا قلـــت هـــذا حـــين أســـلو و أجتـــري على هجرهـــا ظلـــت لهـــا الـــنفس تـــشفع

المقطوعة الشعرية السابقة تظهر اقتران حياة الشاعر بالآخر/ الحبيبة، فالشاعر ليس راغبًا في الحياة ولا في الحب والعشق بعد فقدان محبوبته، فالفقد جعل الشاعر ينفـر مـن العالم المحيط به ويرفض ملذاته وشهواته؛ كأن الحياة متجـسدة فـي صـورة محبوبتـه، فوجودها هي الحياة برمتها، وفقدانها فقدان الحياة في الوقت ذاته، والأبيات تجسد انكـسار الذات الشاعرة على الجوانب كافة.

يقول معبرًا عن الفقد و حلول الموت بالحبيبة: (٣)

أقـــول ونـــضوي واقـــف عنـــد رمـــسها عليـــك ســـلام الله والعـــين تـــسفح

(١) الديوان ص١١٨.
(٢) الديوان ص١١٨.
(٣) الديوان ٧٢.

وقــد كنــت أبكــي مــن فراقــك حيّــةً وأنــت لعمــري اليــوم أنــأى وأنــزح

تأتي الذات هنا منكسرة بفعل الفراق الأبدي، فقد جفت عيون الشاعر من كثرة البكاء، فهو يبكي محبوبته حية وميتة.

فالفقد من أخطر أنماط الانكسار على الذات؛ لأنّه لا يعبِّر إلا عن ضياع وتدمير للذات، فلا تبدي الذات مع هذا النمط أدنى مقاومة، فالشاعر عبَّر عن ضعفه وقلة حيلته تجاه الآخر/ الحبيبة.

الانكسار بفعل المرض:

نرى هذا الانشطار في قوله: (١)

ألا تلــك عــزَّة قــد أصــبحت تقلِّــب للهجــر طرفــا غضيــضا

تقــول مرضــنا فمــا عــدتنا فقلــت لهــا لا أطيــق النّهوضــا

كلانــا مريــضان فــي بلــدة وكيــف يعــود مــريض مريــضا

يحدث كُثير نفسه قائلًا ها هي عزة مصرة على الهجر، يجتاحها المرض، فيتخيل أنها تدعوه لزيارتها، وهو يعلم أن زيارتها مستحيلة؛ بل إن قعوده عن تلبية دعوتها شبيهة بالمرض؛ فكيف يعود مريضٌ مريضًا، فالانكسار تمثّل في المرض فهو المحرك الأوحد للانكسار وتشظي الذات.

يقول في سياق آخر: (٢)

أنــادي لجيرانــا يقــصدوا فنقــضي اللُّبانــة أو نعهــد

كــأنّ علــى كبــدي قرحــة حــذارا مــن البــين مــا تبــرد

يطلب الشاعر من جيرانه ورفقائه في الرحلة أن يمروا على مكان إقامتها، فيقضي حاجة نفسه برؤيتها، ويصف حاله في البعد، ومخافة دوام الفراق بشخص يعاني قرحة في كبده.

(١) الديوان ص١١٢.

(٢) الديوان ٨٣.

الصمود:

يؤكد ذلك قول الشاعر: (١)

وكانت لقطع الحبل بيني وبينها كناذرة نذرا وفت فأحلّتِ

ولم يلق إنسانٌ من الحب ميعةً تعمٌ ولا عمياء إلا تجلّت

فإن سأل الواشون فيم صرمتها فقل نفس حرٍّ سُلِّيت فتسلت

تظهر في الأبيات صمود الذات الشاعرة تجاه الآخر/ الحبيبة، فقد صبر الشاعر على الوصال وطلب الود على الرغم من الجفاء الذي تعرض له من قبل المحبوبة، إلا إنه صابر ومتحمل؛ لكن تغيّر حاله تجاه عزة، فقد حقق لها مبتغاها في قطع حبل الوصال؛ لأنه صاحب نفس أبية عزيزة حرة.

يقول كثير عزة في موضع آخر: (٢)

ولي زفرات لو يدمن قتلنني توالي التي تأتي المنى قد تولت

وكنا سلكنا في صعود من الهوى فلمّا توافينا ثبتٌ و زلتِ

وكنّا عقدنا عقدة الوصل بيننا فلمّا تواثقنا شددتُ وحلّتِ

فإن تكن العُتبى فأهلا و مرحبا وحقّت لها العتبى لدينا وقلّت

وإن تكن الأخرى فإنّ وراءنا بلادا إذا كلَّفْتُها العِيس كلّت

الشاعر هنا يمتلك قراره حتى في عواطفه وزفراته وتأوهاته التي لو لم يسيطر عليها بالسلوى لقتلته، وهو يمتلك الإصرار على التمسّك بالعهود حتى وإن خانه البعض، وهو يقبل العتاب فيصفح وإلا فهو في غنى عن هذا العنت.

ويقول أيضًا: (٣)

ولمّا رأيتُ النفس نفساً مصابةً تداعى عليها بثُّها وهمومها

عزمتُ عليها أمرها فصرمتُه وخير بديعات الأمور عزيمُها

(١) الديوان ص٥٥.

(٢) الديوان ص٥٦.

(٣) الديوان ص٢٠٧.

هنا الانشطار يظهر في حالته ومعاناته فهو حيناً متأرجح العواطف مشتَّت الفكر؛ تارة متمسك بها وتارة ينقض عهدها.

في موضع آخر يقول كثير عزة: (١)

لا تغدرنّ بوصل عزّة بعدما أخذت عليك مواثقا وعهودا

إنّ المحب إذا أحبّ حبيبه صدق الصفاء وأنجز الموعودا

يؤكد الشاعر على تمسكه بالعهد وها هو يخاطب نفسه ويأمرها بالوفاء مهما واجه من صعاب، فهو محب صادق وافي للعهود.

يقول الشاعر: (٢)

فكيف يود القلب من لا يودّه بلى قد تريد النفس من لا يريدها

ألا ليت شعري بعدنا هل تغيرت عن العهد أم أمست كعهدي عهودها؟

هنا الشاعر متجلد صابر متحمل صدودها سائلًا نفسه عن قوة صبره واحتماله القطيعة، ويجيب رغم الأذى الذي لحق به، هكذا النفس السويّة تميل وتطلب من لا يطلبها، ويظل شغوفاً للإجابة عن سؤاله، هل مازالت باقية على العهد أم تغيرت؟.

يقول أيضًا: (٣)

فأعرضت إنّ الغدر منكن شيمة وفجع الأمين بغتة وهو ناصح

فلا تجبهيه ويب غيرك إنّه فتى عن دنيّات الخلائق نازح

هو العسل الصافي مرارا وتارة هو السُّمُّ تستدمي عليه الذّرارح

فالشاعر هنا صامد ومعتز بنفسه في أشدّ مواقفه العاطفية، فهو يتحلى بمكارم الأخلاق.

يقول كثير عزة: (٤)

وإنّي لأُكمي النَّاسَ ما تعدينني من البخل أن يثري بذلك كاشح

(١) الديوان ص٧٦.
(٢) الديوان ص٨٥.
(٣) الديوان ص٦٨.
(٤) الديوان ص٧١.

فالشاعر صبور على إعراضها، ويخفي عن الناس بغضها وبخلها حتى لا يشمت به الشامتون.

يقول: (١)

وإنّـــي وإن صـــدّت لمُـــثن وصـــادق عليهـــا بمـــا كانـــت إلينـــا أزلـــت

وحلّـــت بـــأعلى شـــاهق مـــن فـــؤاده فـــلا القلـــب يـــسلاها ولا الـــنفس ملّـــت

فـــلا يحـــسب الواشـــون أنّ صـــبابتي بعـــزّة كانـــت غمـــرة فتجلّـــت

فـــوا عجبـــا للقلـــب كيـــف اعترافـــه وللـــنفس لمـــا وطّنـــت فاطمأنّـــت

يستمر الشاعر في صموده تجاه محبوبته متحلي بمكارم الأخـلاق، فهـو يـصمد، ويتحلى بالصبر، ويتعجب من قوّة تحمله حين يقبل عليها، وهي تعرض عنه، وهو صـادق العاطفة يتهم الواشين بسوء ظنّهم فيه بأنّ تجربة هذا الحبّ عنده كانـت كـسحابة صـيف خفيفة ومرت، إنّه في صراع دائم مشتت الرؤى، انشطار مركّب بين إقبالـه علـى عـزة وإعراضها عنه، وانشطار أيضًا في محاربة الواشين الذين يستصغرون حبـه ويـستهينون بارتباطه بها.

يقول الشاعر: (٢)

كـــأنّي و تَهيـــامي بعـــزّة بعـــدما تخلّيـــت ممـــا بيننـــا وتخلّـــذتِ

لكـــالمرتجى ظـــلَ الغمامـــة كلّمـــا تبـــوّأ منهـــا للمقيـــل اضـــمحلّتِ

كـــأنّي وإياهـــا ســـحابة ممحـــلٍ رجاهـــا فلمّـــا جاوزتـــه اســـتهلّتِ

يصف لنا هذا الانشطار ويضعنا أمام موقف يشبه حالة تَهيامه وتعلّقه بعزّة وتمسكه بعواطفه بعد أن قطعت ما بينها وبينه وتخلّت عنه، فلم يصل إلى ما يريد كرجل يسير فـي الصحراء في وقت القيلولة، والقيظ الشديد الذي يتطلب منه أن يلجأ إلى ظل غمامـة تقيـه شدة الحر، كلما أراد أن يستريح في ظلها تضمحل وتختفي، وصورة لانشطار مماثل كمـن يزرع في أرض ممحلة يرى سحابة فيستبشر فإذا بها تتجاوز ما يريد ثم تمطر.

(١) الديوان ص٥٧.

(٢) الديوان ص٥٨.

ويقول أيضًا: [١]

فإمّـــا تريـنـــي اليـــوم أبـــدي جـــلادة فـــــإنّي لعمـــــري تحـــــت ذاك كلـــــيم

يظهر الشاعر صموده بشكل واضح ويبوح به لمحبوبته؛ ليبرئ نفسه مـن الجفـاء والصدود.

المبحث الثاني/ ثنائية الحضور والغياب:

تمثّل ثنائية (الحضور والغياب) داخل بنية الأجناس الأدبية حـضورًا لافتًـا للنظـر وخاصة في بنية القصيدة؛ حيث إنها تحمل مجموعة من المؤشرات والدوال والرموز التـي تبرز بواطن الذات الشاعرة، وما تعتريها من انفصام وانشطار وتفكـك وتمـزق وتـشتت، فهي أيقونة مهمة للمتلقي الذي يريد أن يتعرَّف على العوامل المؤثرة فـي تـشكّيل الـذات وتحولها على حد سواء.

فالعلاقة بين الحضور والغياب علاقة اتصال، قائمة على الأخذ والعطـاء، فوجـود الأول يحتم وجود الآخر، فمن خلالهما يستطيع المتلقي الربط بين ما هو مضمر (المسكوت عنه) مع ما هو ظاهري (شكلي)، وفي الوقت نفسه تتشكل الذات، فنراهـا تـارة تتجـاذب وتتنافر مع نفسها من جهة، ومع غيرها من جهة أخرى، وتارة أُخرى نراها تتمـاهى مـع الآخر وتقبله من جانب، وترفضه وتتمرد عليه من جانب آخر.

وهذا ما انطوت عليه الظَّاهرة الشِّعرية، حيث قامت "**على مرجعين أساسيين: الأوَّل معدوم، والثاني موجود واقترابها من الأول يعني ابتعادها عن الثاني؛ كما أن ابتعادها عن الثاني يقرّبها من الأول. وبقدر ما تحققه من نجـاح علـى مـستوى التواصـل، فإنهـا (الظاهرة الشعرية) تحاول القبض على المرجع الغائب من النص الشعري**" [٢]، فـالمرجع الغائب هو غاية الظاهرة الشعرية، فمن خلاله يستطيع المتلقي التفاعل والانسجام مع النص وفك لوغرتماته والتعايش مع التجربة الشعرية بكلِّ جوارحه.

إن علاقات الحضور والغياب علاقات تلازمية داخل بنية الـنص الـشعري، حيـث يربطهما نظام دلالي واحد، والذي يتمثل في العلاقة بين الدال والمدلول، والصورة الذهنيـة المصورة للأشياء، فتعدّ "**علاقات الغياب علاقات معنى ورمز، فهذا الدال يدلّ علـى ذلـك المدلول، وهذه الحقيقة تقتضي أخرى، وهي أنّ الحادثة ترمـز لفكـرة توضـح نفـسية الشخصيات وهكذا، أما علاقات الحضور فهي علاقة تصوير وتكـوين**" [٣]، فمـن خـلال

(١) الديوان ص٢٠٠.

(٢) الظاهرة الشعرية العربية" الحضور والغياب"، د. حسين خمري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م، ص١٤.

(٣) نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ؛ ١٩٩٨م، ص ٣٠٥.

علاقات الحضور والغياب، يستطيع المتلقي التعرُّف على الذات الشاعرة والعوامل المؤثرة في انشطارها.

يقول الشاعر:

وأنت لعيني قُرَّةٌ حين نلتقي وذِكرك في نفسي إذا خدرت رجلي

وإن رمدت عيناي يوما كَحَلْتُها بعينيك لم أبغِ الذّرور من الكُحلِ

يصور الشاعر الفارق بين غياب محبوبته وحضورها في نفسه؛ ليبين لنا ما يفاجئه عند رؤيتها، فلقاؤها غاية ما يفرحه، به يسعد قلبه، وتقرّ عينه، وعندما يناجيها ويذكر اسمها في نفسه فهو شفاء عندما تصاب رجله بالخدر؛ بل يصوِّر نظرته إليها شفاءً لعينيه إذا رمدت، فعيناها علاجًا من الذرور الذي يتداوى به.

فالذات الشاعرة هنا تنشطر بفعل الآخر/ المحبوبة، فاللقاء والنظرة في عينيها شفاءٌ من كُلِّ داءٍ، فحضور محبوبته سواء أكان حقيقيًّا أم مجازيًّا له مردوده النفسي في الذات الشاعرة، وغيابها أيضًا.

الحضور واللقاء وانشطار الحال وتبدل الحال:

يتجلى ذلك في قول الشاعر: (١)

وكنت إذا ما جئتها بعد هجرة تقاصر يومي ذ نهاري وأغيما

فأقسمت لا أنسى لعزّة نظرة لها كدت أُبدي الوجد مني المجمجما

عشيّة أومت والعيون حواضر إليَّ برجع الكفِّ ألا تكلما

فأعرضت عنها والفؤاد كأنّما يرى لو تناديه بذلك مغنما

يأتي اللقاء والحضور الجميل وهو يكشف الفارق بين بعد محبوبته وطول نهاره وجدب حياته، وما يحدث من تغيير، فيحس بقصر النَّهار؛ لأنَّه يريده ألَّا ينقضي، وهو يتملّى من جمال محبوبته وخصب الحياة المتوقع في حضورها، ويقسم على ذلك موقنًا بأنّ نظرتها إليه تهزّ أركانه وتثير وجده، ولولا إشارتها له، وتحذيرها ألّا يتكلّم فتحبس أنفاسه عن النطق باسمها، وإظهار فرحته بقدومها؛ لصرخ في الحضور، وتمنّى أن تذكره باسمه

(١) الديوان ص١٩٧.

وتناديه فهو غُنمٌ يفوز به، فحضور محبوبته ولقائها تسهم في انشطار الحال وتبدله من السلب إلى الإيجاب.

يستمر قائلًا: (١)

وقلت وفي الأحشاء داء مخامر ألا حبّذا يا عزَّ ذاك التشاير

هو هنا يرضى منها بالقليل، فينشرح صدره، وتبتهج نفسه، تكفيه إشارة من يدها عند رؤيته؛ لتلقي إليه التحية بعد غيابه عنها؛ ليعلم أنه أخذ حيزًا كبيرًا في قلبها وعقلها، وقد وضح ذلك قوله (داء مخامر) التي تشير إلى شدة عشقه ووجده الذي لزم الشاعر وخالط قلبه وروحه، فالذات الشاعرة هنا تتشطر على نفسها عند لقاء المحبوبة وحضورها، فهي ذات مريضة بالحب والعشق والولع والوجد.

وحشة الغياب وتعاسة الحياة:

يظهر ذلك في قول الشاعر: (٢)

ألم تسمعي أي عبدَ في رونق الضحى بكاء حمامات لهنّ هدير

بكين فهيجن اشتياقي ولوعتي وقد مرّ من عهد اللقاء دهور

إذا طال غياب محبوبته يصبح هائم الفكر، تهيج أشواقه، وتثير لوعته، بكاء الحمامات التي تكون بمثابة هدير متتابع كموج البحر، الذي يؤذن بهلاكه، فلا يملك إلا أن يبكي لبكائها.

يستخدم الشاعر التشبيه التمثيلي في البيتين السابقين، حيث يشبه وحشة الحياة في غياب محبوبته بالحمامات التي تبكي من الهلاك، فالغياب أسهم في انشطار الذات الشاعرة فبعد أن كان محبًا للحياة في حضور محبوبته أصبح تعيسًا يبكيها في غيابها، وقد وظف الشاعر الحمام لما فيه من صفات النقاء والصفاء فهو يناسب شعوره الوجداني الذي يعبِّر عنه.

يقول الشاعر واقفًا على الغياب وموضحًا حالته النفسية: (٣)

سألت حكيما أين صارت بها النوى فخبّرني ما لا أحب حكيم

فما للنوى لا بارك الله في النوى وعهد النوى عند المحب ذميم

(١) الديوان ص٥٠٢.
(٢) الديوان ص١٠١.
(٣) الديوان ص.٢٠٠.

ومـــا ظعنـــت طوعـــا ولكـــن أزالهـــا زمـــان نبـــا بالـــصالحين مـــشوم

الانشطار هنا يجعله في حالة صراع نفسي دفين لهذا الغياب الذي يضطره لسؤال الحكماء؛ عساه يجد من يخفف عنه ألم هذا الفراق، الذي جعله يكره أيامه ولياليه، ويدعو على هذا البعاد بأن يقصر، ومع ذلك الانشطار يعلل لها سبب الغياب ويعطيها العذر بأن الصالحين عرضة للابتلاء واختبارات الزمان.

يقول أيضًا: (١)

يـــذكّرنيها كـــلُّ ريـــحٍ مريـــضةٍ لهـــا بـــالتلاع القاويـــات نـــسيم

يلحظ هنا أن الشاعر اتجه إلى عناصر الطبيعة؛ لتشاركه همه وتتفاعل معه؛ وليتخذها رمزًا معادلًا لمعاناته النفسية، فإذا وجد الريح قد ضعفت تذكره بعزّة وبعد المرام عن الوصول إليها.

يقول الشاعر طالبًا اللقاء: (٢)

وقلـتُ لهـا يـا عـزّ أرسـلَ صـاحبي علـى نـأي دار والرسـول موكّـل

بـأن تجعلـي بينـي وبينـك موعـدا وأن تـأمريني بالـذي أنـا أفعـل

وآخـر عهـدي منـك يـوم لقيتنـي بأسـفلِ وادي الـدَّومِ والثـوب يُغـسلُ

هو هنا يتلهّف لسماع أخبارها في الغياب، موافقًا اقتراح الرسول بأن تحدد موعدًا للقائه، وبأنّه سينفذ مجيبًا ملبيًا كلّ أوامرها كالعبد المطيع، وقد طال البعد، وثارت الأشواق خاصة، وهو يتذكر آخر عهده بلقائها، وآخر مكان جمعهما.

يخاطب الشاعر الأطلال لتشاركه همومه وآلامه النفسية، فيقول: (٣)

لعـزّة أطـلال أبـت أن تكلّمـا تهـيج مغانيهـا الطـروب المتيّمـا

كـأنّ الريـاح الـذاريات عـشيّة بأطلالهـا ينـسجن ريطـا مـسهَّما

أبـت وأبـى وجـدي بعـزّة إذ نـأت علـى عـدواء الـدار أن يتـصرَّما

(١) الديوان ص٢٠١.
(٢) الديوان ص١٦٢.
(٣) الديوان ص١٩٥.

نراه هنا المحبّ المتيّم، حيث يخاطب الطلل، وهو يعرف أن الأطلال لا ترد سائلًا، وإنّما يدفعه إلى ذلك ألم البعاد والبحث عن سبيل يقرّبها إليه ولو بسؤال الجمادات!

لكنه يرجع منكسر الخاطر؛ لأنها لم ترد عليه وكأنّ رفضها يزيد انشطاره النفسي وصراعه مع الحياة حينما رفضت وتماهى مع رفضها رفضه فزاده إصرارًا على التمسك وأبى أن يقطع حبل المودة بينهما.

يخاطبها منشطرًا، إذ يقول: (١)

إذا بنتِ بان العُرف إلاّ أقلَّه من النّاس واستعلى الحياةَ ذميمُها

يكره الشاعر الحياة والأحياء؛ ففي غيابها يغيب المعروف وكلُّ شيء جميلٍ بين الناس، ويطفو على سطح الحياة المعروفون بذميم خصالهم.

يقول معبرًا عن الغياب ومشاركًا عناصر الطبيعة: (٢)

ولي منكِ أيّامٌ إذا شحط النَّوى طوالٌ وليلاتٌ تزول نجومها

في عينيه تتبدل الطبيعة جراء غيابها، يطول النَّهار، ربما يدفعه إلى ذلك رغبته في تتبع أخبارها ومعرفة شيء عنها، وتصبح الليالي طويلة أيضًا شديدة السواد، تغادرها النجوم وكأنها تأخذ النجوم معها فهي تتبعها حيثما سارت.

يقول معبرًا عن حالة الهجر وتمني اللقاء: (٣)

وأُجمِع هجرانا لأسماءَ إن دنت بها الدّار لا من زُهدةٍ في وصالها

وهو في حضورها وقرب ديارها منه في غاية الرضا، فلا يتطلّع إلى أكثر من ذلك؛ ليس زهدًا في وصلها، وإنّما قناعة ورضى، فالذات منشطرة على نفسها بفعل غياب المحبوبة وتمني اللقاء، ففي الغياب وحشة وتعاسة.

يجسد الشاعر الدار ويجعله قلبه التي تسكت فيه محبوبته عزة، فيقول: (٤)

فإن أنجدت كان الهوى بك منجدا وإن أتهمت يوما بها الدارُ أتهما

هوى عزّة الذي تمكّن من قلبه جعله أسيرًا لديها؛ بل عبدًا مطيعًا لسيده، في حالة حركة دائمة، فهو مضطرب لا يعرف الاستقرار؛ كالعبد يتبع سيده، يتنقل حيث شاءت ويتبعها أينما رحلت، وكأنّ قلبه دارها التي تسكن فيها، بعدت أم قربت.

(١) الديوان ص٢٠٧.
(٢) الديوان ص٢٠٦.
(٣) الديوان ص١٩٢.
(٤) الديوان ص١٩٦.

إن الشاعر المغترب عن ذاته الباحث عنها في محبوبته، يلجأ إلى الخيال؛ ليكون حلًا بديلًا لواقعه المرير الذي يعيش مغتربًا فيه شعوريًّا وفكريًّا ووجدانيًّا، فدائمًا كُثير عزة يلجأ إلى المجاز والخيال المفرط ليخلق عالمًا موازيًّا يبث فيه همومه وحسراته وشقائه ونكباته.

"فصورة الاغتراب والفقد تزداد تضخمًا كلما كان غياب المحبوب واضحًا وأكيدًا، ولا يبقى خيط رابط بين الشاعر المحب وبينه سوى آلية واحدة هي الحلم والشعر حلم"(١)

يتجلى ذلك في **قول الشاعر:** (٢)

أقيمي فإنّ الغور يا عزَّ بعدكم إليّ إذا ما بنتِ غير جميل

كفى حزنا للعين أن راء طرفها لعزّة عيرا آذنت برحيل

وقالوا نأت فاختر من الصبر والبكا فقلت البكا أشفى إذاً لغليلي

فولّيت محزونا وقلت لصاحبي أ قاتلتي ليلى بغير قتيل

يأتي النداء في الأبيات السابقة كاستغاثة لمن برّحت به الغربة وعصفت به الشجون وذاق مرارة البعاد، فنجد الشاعر يتوسل إلى عزة طالبًا المكوث والإقامة في "الغور"؛ لأنّ طعم الحياة وحلاوتها تتبدّل، وينقلب الحال إلى ضدّه.

هذا الحضور الذي تشهده العين وتُسرُّ به النفس فترقب مظاهره وجماله، وغياب تتحسسه النفس وتستشعر آثاره، يكفيه حزنًا أن يرى إعدادهم العير للرحيل، وبعد أن أبلغوه خبر رحيلها يطلبون منه أن يختار الصبر أو البكاء، وكأنّ الصبر ملازمه مدى الدهر فلا يجد سوى البكاء الذي هو وسيلته لشفاء ماحلّ به من ضيق، وهو يعلم أنه ضحيةٌ لها، برئ يُقتل بغير ذنب جناه.

فهذه الديار التي كانت تضج بالحيوية في الحضور تبدّل حالها في الغياب، فقد أسهم المكان في الكشف عن انشطار الذات وتقلب حالها بين حضور محبوبته وغيابها؛ كما أن الاغتراب الذي وقع على الشاعر جاء نتيجة رحيل محبوبته؛ لذلك تعرضت الذات الشاعرة إلى موقفين لا تستطيع إشباعهما، فهو لا يقدر على الصبر ولا على التواجد في المكان نفسه التي تركته محبوبته، فولد ذلك صراعًا نفسيًا أصاب الذات بالانشطار، فالحب والوجد والعشق هو المولد الأساس لذلك الصراع.

(١) ثنائية الحضور والغياب في ديوان" أغنيات الحب والألم، علي زغينة، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، مجلد٤، ٢٠٠٨م.
(٢) الديوان ص١٨٠.

فإنّه الحبّ وحده قد امتلك قلبه وعقله واستحوذ على فكره، بحضورها تتجمل الحياة في عينيه، فينشرح صدره، وتقرّ عيناه، وتبدو الدنيا جميلة في نهارها وليلها، وطبيعتها التي تخصب في عينيه بهاءً ورونقًا، وفي غيابها الذي يخشى علاماته منذ إعداد الإبل للانتقال يضطرب قلبه، وتثور مشاعر الاغتراب في داخله، وتسود الدنيا في عينيه، ويقل المعروف بين الناس، فتجدب المشاعر وتتصلب الأفكار.

الخاتمة:

في نهاية البحث تستطيع الباحثة أن تقف على مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

١. إن شعرية الذَّات والتَّشظي؛ شعريّة تَقوم على أسئلة تتمحور حول الذات الشّاعرة، وتَمسّ ما تطرحُه من تساؤلات قَلِقَة تكشف عُمق التَّحول الذي تَعيشه، وغُربتها في الزّمان والمكان والكلمة والتجربة ككل، وهو ما يجعل شِعْرَ الذَّات يعيش تفاوتًا في الإبداع وتباينًا على مستوى الرؤيا، وتشَظيًّا وانشطارًا على مستوى الشُّعور؛ إذ نجد كثيِّرا يتمرَّد ويهدم تارة ويستكين ويخضع تارة أُخرى، فهو يزاوج بين حالة الصمود وحالة الانكسار.

٢. إن الشاعر ظهرت عليه ملامح الانكسار بفعل عوامل عدة، أهمها: الخوف والفراق واليأس والفقد والموت والمرض، وهذه العوامل المشكلة للانكسار، كانت مسببة لانشطار الذات على نفسها، وهذا ما بدا في مواضع كثيرة عند كُثير عزة.

٣. استدعى الشاعر عناصر الطبيعة لتشاركه همومه وأحزانه وتقلباته النفسية بوصفها معادلًا موضوعيًّا ورمزًا دالًا على معاناة الذات وانكسارها تجاه العوامل المؤثرة في بُعد الذات المحبوبة عنه، فبفعل الفراق تحولت الذات من ذات محبة للحياة إلى ذات تعيسة حزينة.

٤. إن الاغتراب الذي أصاب الشاعر نتيجة رحيل محبوبته عنه، يُعد المولد الرئيس للصراع النفسي الذي انتاب الشاعر، والذي صاحبه انشطار الذات وتشظيها، فهو لا يستطيع الصبر على فراقها ويأمل وصلها ولقائها.

المصادر والمراجع:

أولًا/ المصادر:

١) ديوان كثير عزة، جمع/ إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.

ثانيًا/ المراجع:

٢) أسس علم النفس العام، د. طلعت منصور وآخرون، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م.

٣) الأصولية والحداثة في شعر حسن الزهراني، د. كاميليا عبد الفتاح، نادي الباحة الأدبي، ١٤٢٩هـ.

٤) التعبير عن العواطف، تشارلز داروين، ترجمة محمد عبد الستار الشيخلي، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى، بيروت، ٢٠١٠م.

٥) الثنائيات الضدية، سمر الديوب، الهيئة السورية العامة للكتاب، دمشق، ٢٠٠٩م.

٦) ثنائية الحضور والغياب في ديوان" أغنيات الحب والألم، علي زغينة، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، جامعة بسكرة، مجلد٤، ٢٠٠٨م.

٧) جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي ت٣٢١هـ، المحقق رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧م.

٨) الصحة النفسية والعلاج النفسي، حامد عبد السلام زهران، عالم الكتاب، القاهرة، الطبعة الثالثة، ١٩٧٧م. انشطار الذات في ديوان (تأبط منفي)، للشاعر عدنان الصائغ، دراسة عاطف السيد بهجات، مجلة كلية الآداب، جامعة بنها، مصر مج٢٣، ع١ يوليو ٢٠١٠م.

٩) الظاهرة الشعرية العربية" الحضور والغياب"، د. حسين خمري، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، ٢٠٠١م.

١٠) القاموس المحيط، مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق أنس الشامي وآخر، دار الحديث القاهرة، ط٢٠٠٨.

١١) لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور ت٧١١هـ، دار صادر، بيروت، (د.ت).

١٢) اللغة العليا، النظرية الشعرية، جان كوهين، ترجمة/ د. أحمد درويش، المجلس الأعلى للثقافة، ١٩٩٥م.

١٣) مجمع اللغة العربية، معجم علم النفس والتربية، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الجزء الأول، ١٩٨٤.

١٤) نظرية البنائية في النقد الأدبي، د. صلاح فضل، دار الشروق، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ؛ ١٩٩٨م.